

نائب رئيس الوزراء العراقي السابق الزعيم الركن رجل الانتفاضات والانتقالات يعترف (الأخيرة)

عبدالغني الراوي : قال عبدالسلام عارف عثرت للراوي على قبر وسأدفنه فيه حملت رشاشي ودخلت القصر نهرت الرئيس وأحببت محاولة عارف عبدالرزاق

✂ **حاوره غسان شربل**

■ عاتبني قارئ عراقي بشدة على نشر الملفات العراقية في سلسلة «يتذكر». استنكر ما سماه تسليط الضوء على ما فعله عراقي بآخر، فيما كانت البلاد مهددة بالغزو سابقاً، وترزح تحت الاحتلال اليوم. قال انه يتحدث من فيينا، وشدد على وجوب طي كل الصفحات العراقية الداخلية والتفرغ لهمة مقارعة الاحتلال مع ترك الشؤون العراقية الداخلية للعراقيين فهي شأنهم وهم أدري بها». وذهب القارئ بعيداً في الاوهام متسانلاً أكثر من مرة عن الغرض من هذه الملفات ومطالباً بالرد على سؤاله عبر صفحات «الحياة».

وكان الغريب إصرار المتصل على عدم ذكر اسمه وإصراره في الوقت نفسه على انه يعرف الكثير. رداً على القارئ العزيز واسئلة مشابهة طرحها آخرون في مناسبات مشابهة يهمني ان اوضح الآتي:

قبل ان نتشغل سلسلة «يتذكر» بالوضع العراقي توقفت عند محطات لبنانية وفلسطينية ويمنية وسودانية وجزائرية وغيرها. والغرض من السلسلة اعادة تسليط الضوء على محطات تركت بصماتها على الحاضر خصوصاً ان احداث الماضي القريب في عالنا العربي تكتب عادة بالحبر الرسمي الصارم الذي كثيراً ما يتلاعب بالحقائق ويطوعها بحيث يحرم الناس من القدرة على معرفة ما حدث، وتاليا القدرة على استخلاص الدروس.

ولم تزعم هذه السلسلة يوماً انها اصطادت الحقيقة برمتها وسجنتها في بضع صفحات. ان ما قامت به هو جمع الروايات ونقلها بأمانة ووضعها امام القارئ لتكفيه من المقارنة بينها وامتحان صحتها.

وكل ما ورد في السلسلة مثبت في شرائط تسجيل او في اوراق سجيلها المتحدثون بخطهم وتفضلوا بتقديم نسخ عنها. ولا نزعج هنا اننا نشرنا كل ما سمعناه، فقد اختصرنا بعض ما لا يهم القارئ او يفيد، وحذفنا اتهامات تمس كرامة الاشخاص او عائلاتهم او سلامة المعنين. وقد فعلنا ذلك التزاماً بقواعد النشر والضوابط المهنية والأخلاقية الصارمة التي لا بد من ان تلزمها اي مطبوعة محترمة. وحرصنا ايضاً على ارفاق كل حوار بإشارة تؤكد ان الباب مفتوح لأي تصحيح او توضيح. اما اختيار المتحدثين فتفرضه طبيعة المواضيع او التطورات والمسائل المطروحة. وغالباً ما يطلب من المتحدث الكلام عن الحطة التي عاشها بدوره فيها.

والعامل الحاسم في الخيار هو الشعور ان لدى الشخص المعني ما يضيف الى معلومات القارئ او يشبع رغبته في التعرف الى خفايا لم تنتشر او نشرت بشكل جزئي او مغاير.

- لم تتفق مع أحد من الذين حكموا العراق؟

– انا كانت لديّ مبادئ واضحة. كلما تعارضت هذه المبادئ مع سياسة حاكم كنت اجد نفسي في خلاف معه. اعتبروني صعباً لانه لا يمكن شسراني لا بالمَنْصب ولا بالمال. وبصراحة اقول انني عانيت كل التيارات الفكرية المضادة للاسلام او التي لا تتفق معه. خذ مثلاً عبدالكريم قاسم. اطاح عبدالسلام عارف ونصب نفسه ديكتاتوراً. صار الزعيم الوحيد وراح يدبر البلاد على هواه. استعان بالشيويعيين في تثبيت مركزه ما مكّنهم من نشر مبادئهم. هل كان يعقل ان اقبل بنهج من هذا النوع. لم نعمل سنوات طويلة من اجل الثورة كي ينتهي الامر بالبلد في عهده ديكتاتور يتعاون مع الشيوعيين. عقيدة الشيوعيين برمتها مرفوضة ثم ان ولاهم الحقيقي هو لاسيادهم. تمكينهم من تعزيز مواقفهم بشكل جريمة. لهذا لم اتردد في اصدار الامر بإعدام قاسم ورفيقه. تم التنفيذ بحضوري ويامر مني.

- ولم تتفق مع عبدالسلام عارف؟

– لم اوافق على سياسته المنادية بالقموية والتعاون مع اليساريين.

- لكنت دخلت الحكومة في عهده!

– استدرجني اليها لإضعافي والتخلص مني.

كيف كان ذلك؟

– في خريف ١٩٦٣ سافرت الى بريطانيا للعلاج من انزلاق غضروفي في العمود الفقري. اثناء ذلك استعان عبدالسلام عارف بالناصريين لطرد البعثيين الذين جاؤوا به. لم يكن لعارف دور في الاعداد لاسقاط قاسم في ١٤ رمضان ١٩٦٣ الموافق ٨ شباط (فبراير). كان قيد الإقامة الجبرية في منزله ويخضع للرقابة. وحتى حين استدعي الى الاذاعة بدا واضحاً ان حازم جواد هو المسؤول عنه.

بعد عودتي الى العراق جرى تنسيبي الى وزارة الزراعة في حيلة قدرة من عبدالسلام عارف. كان يعرف موقيفي وصالبتي وانني لا اتردد في التحرك ضد الخطأ. حرك نخوتي معتبراً قبولي وزارة الزراعة واجبا علي. حجبته ان العراق بلد زراعي اصلاً لكنه بات يستورد كل المواد الغذائية، وقال انني ساحتفظ بموقعي في الجيش كقائد لفرقة مدرعة. وقال لي ان وزارة الزراعة بحاجة الى رجل شجاع وقوي ونظيف. وإقناعي بفرص النجاح قال خذ كل صلاحياتي المتعلقة بوزارتك ومعها كل صلاحيات رئيس الوزراء (ظاهر جحبي).

الخلاف مع عبد السلام عارف

- صدّقت وقيلت؟

– نعم. قلت في نفسي ربما استطيع ان اقدم شيئاً. كتشف لاحقاً ان عبدالسلام كان يضمّر غير ما يعلن. كان يريد إبعادي من الجيش الى الوزارة أو لا ثم إبعادي الى خارج العراق كسفير ثانياً.

- لم تدم رحلة التعاون طويلاً؟

– في ٢٩/٣/١٩٦٤ ولم يكن مضى على كوزير للزراعة الا بضعة ايام وقبل اصدار الدستور المؤقت وجهت كتاباً الى مجلس الوزراء مع صور عنه الى سكرتير رئيس الجمهورية والوزارات. اعترض فيه على فقرات في مشروع الدستور تحدثت عن الاسترأكية وتعارض اخرى مع الاسلام في موضوع الأحوال الشخصية. ربما هنا تكمن مشكلتي. لا استطيع الصمت ولا اقبل بالسلوب الاستباح وثل ذلك الذي تقميه السفارات الاجنبية موقفي. بعد ستة اشهر فقط اصدر رئيس الجمهورية مرسوماً بتعديل وزاري نص على إقالة وزير الداخلية رشيد مصليح. اعدمه البعثيون في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠، وإقالتني من وزارة الزراعة وتعييني سفيراً في وزارة الخارجية. ثم تم تعييني سفيراً في فيينا. كان واضحاً ان عبدالسلام عارف يريد التخلص مني بإبعادي عن الجيش والبلاد معاً. على مدى عام رفضت الانتخاب بالمركن الذي اختاروه لي. ورفضت الدوام في وزارة الخارجية وامتنعت عن حضور اي حفلة رسمية او تلك التي تقمها السفارات الاجنبية في بغداد وكانوا يرسلون راتبي الى بيتي.

ولكن لماذا اتخذ عبدالسلام هذا الموقف؟
– لان عبدالسلام يعرفني ويعرف عني. حين كانوا يخطون للثورة كنت اخطط للثورة وكنت اقودها قبلهم. ثم انني لست من الذين يسهل تخويفهم او تطويعهم. وربما لم ين الوشاة دوراً في تحريضه. ولعله على عادة الحكام سعى الى ابعاد الاقوياء. الحاكم يريد ان يكون القوي الوحيد وداثماً هناك من جبرضه وتخيبر قلقه من اصحاب المواقف والريصد الشخصي خصوصاً في الجيش.

العلاقة مع عبدالرحمن عارف

- ولم تكن رحلتك مريحة مع شقيقه الرئيس عبدالرحمن عارف؟

– بعد مقتل عبدالسلام عارف ارتأت الجهات التي شاركت في قتله ان يكون شقيقه عبدالرحمن رئيساً. ارتأت ان يكون خليفته لعبة قاضية جاهلاً وجباناً لا يحل ولا يربط. هكذا أصبح عبدالرحمن عارف رئيساً للجمهورية وقد دفع العراق ثمن ضعفه وما زال يدفع حتى اليوم.

- اعتقد انك تفرط في القسوة على الرئيس السابغ؟

– ما اقلوه هو رايي. اقل الم لك ان مشكلتي تكمن في جرأتي وقدرتي على تسمية الأشياء باسمائها. لا يستطيع رجل ضعيف ان يقود بلداً مثل العراق. الرئيس الضعيف يسقط في أيدي المحيطين به فيحكمون من خلاله. تصور انني سقطة على ايدي اقرب الناس اليه. على يد من كان يعتبرهم ضامنّة وهم ابراهيم الداود امر الحرس الجمهوري وعبدالرزاق النايف معاون مدير الاستخبارات العسكرية. لولا تعاون الداود لما نجح البعثيون في دخول القصر. ولم يتأخر البعثيون ايضاً في الغدر بالداود والنايف اللذين كان تعاونهما مع احمد حسن البكر ورفاقه جزءاً من لعبة اكبر منهما.

● هذا يعني اعترافك بأن الداود والنايف لعبا دوراً حاسماً في ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨؟
– نعم. وضع عارف مصبره في ايديهما. ورئيس الجمهورية براهن في النهاية على ولاء الحرس الجمهوري الذي يضم الاف العسكريين. لو قاتل الحرس الجمهوري لكان الوضع مختلفاً.

احباط انقلاب عبدالرزاق

ساعتيك مثلاً على شخصية عبدالرحمن عارف. في صيف ١٩٦٦ كنت في منزلي واذا بطائرات تقصف القصر الجمهوري. ذهبت بسيارتي وملايسي المدنية حاملاً غدارتي (رشاشي) الستيرلك. وصلت الى القصر الجمهوري قبل وصول عبدالرحمن الذي كان التقيته منذ غياب اخيه عبدالسلام. كانت الحركة بقيادة العقيد الركن الطيار عارف عبدالرزاق. سيطر الثوار الناصريون على معظم دبابات القصر الجمهوري ودبابات بغداد فضلاً عن الاذاعة والمطارات في بغداد وكركوك والموصل والحبانية. لم تتجاوب الوحدات العسكرية مع اوامر مواجهتهم. من غرفة رئيس الجمهورية الذي كان وحيداً الى جانبي ادرت المعركة ضد الانقلابيين. كان الوضع صعباً. كان عبدالرحمن عارف يكي وكنت اصرخ به كما اصرخ بطفل خائف. حاول ثلاث مرات الاستسلام للانقلابيين لكنني منغته. لقد كنت السبب في احباط المحاولة الانقلابية. تمكنت من اثناء الفتنة ثم القاء القبض عليهم في الفجر التالي كما كنت السبب في انقاذ حياتهم من الموت المحقق.

في هذه المرحلة تزايد الحديث لدى العراقيين عن احتمال تكليفي بتشكيل الحكومة وإقالة حكومة البزاز. وهذا الامر لا يوافق اعداء الاسلام والمسلمين وأعداء العراق والعراقيين. اتحت جهود هؤلاء للتأثير على عبدالرحمن عارف وتخويفه مني ولو على شكل نصيحة. قالوا له «عبدالغني تغدى بالناصريين وسيتمسكن بك». ولهذا جرى تكليف ناجي طالب بتشكيل الوزارة التي كانت من اضعف

عندما يكي عبدالرحمن

صباح السبت دخلت على عبدالرحمن

عارف فخرج ان يحلق بي. اخبرني انه قرر تشكيل حكومة برئاسته لأن المصلحة تقتضي ذلك. وامضى ما يقارب ستة اسابيع في

صباح السبت دخلت على عبدالرحمن

عارف فخرج ان يحلق بي. اخبرني انه قرر تشكيل حكومة برئاسته لأن المصلحة تقتضي ذلك. وامضى ما يقارب ستة اسابيع في

الحكومات التي عرفها العراق في تاريخه الحديث فقد ولدت مينة (هذا مع أن الثوار الناصريين كان في تخطيطهم تكليف ناجي طالب بتشكيل الحكومة لأنه من رؤوس الناصريين في العراق). وهكذا ما فشل به الثوار الناصريون حصلوا عليه مجانا هبة من عبدالرحمن عارف وكترضية لما اقترفوه. وبعد أن عجزت وزارة ناجي طالب عن العمل وبعد شهور طويلة قرر عبدالرحمن عارف إقالة الحكومة وتكليفني بتشكيلها.

قصة تشكيل الحكومة

وكتب الراوي في مفكرته في ١٩٧٩ قصة عدم تكليفه تشكيل الحكومة قال:
«كان من عاداتي زيارة رئيس الجمهورية مساء كل اربعاء مدة تقارب الساعة. وذات اربعاء من ربيع ١٩٦٧ اخبرني انه قرر إقالة حكومة ناجي طالب وتكليفني تشكيل الحكومة وان المراسيم ستصدر السبت ومعها التقاط الصورة التذكارية. طلب مني تقديم لائحة باسماء الوزراء للاتفاق عليها معه فابلغته انني اعددت قائمة بهذه الاسماء. وقتل له انني اقترحت اربعة اسماء لبعض الحقائق واكثر احقائب أخرى ليكون باب الاختيار واسعاً.

وشرحت ان الاسماء التي اقترحتها غير حزبية ولاشخص لم يشاركوا في الثورة لكنهم من ذوي الكفاءة ومن دون انتماء حزبي. سألني ان كنت اخذت موافقتهم فاجبته انهم لا يعملون لانني انا ايضاً لا اعلم على من سيقم الخيار من بين مجموعة اسماء مقترحة لحقبة واحدة. خاف ان يعتدروا ويصطدم تشكيل الحكومة بصعوبات كما حصل لوزارة ناجي طالب فاجبته: بعد ان نتفق على الاسماء سأخبر كل واحد منهم من هذه الغرفة لآخره انني كلفت تشكيل الوزارة واخبرته للحقبة الفالانية ثم اعطيت سماعة الهاتف لتسمع جوابه مباشرة.

سألته ان كان احد غييري يعلم بقراره تكليفني تشكيل الحكومة فقال ان ناجي طالب وحده يعرف. قلت اذاً سيسعرف الجميع لأن

طالب كما تعلم هو من رؤوس الناصريين وسيخبر جماعته الملعومين بالبعثيين والشيوعيين وغيرهم. اقترحت على الرئيس اعلان إقالة الحكومة وتكليفني فوراً على أن يبت النبا في نشرة العاشرة مساء ولا مانع من الاتصال بالمرشحن لدخول الحكومة ليلاً على أن يتم التشكيل صباحاً لنقطع الطريق على أية ردة فعل من قِبل أولئك الذين يتسلمون الأوامر من خارج الحدود. فاجابني انه وعد ناجي طالب بأن المراسيم ستصدر صباح السبت واعرب عن اعتقاده ان لا مشكلة. قلت له عليك اذاً ان تتوقع ان تجيء اليك افواج بعد افواج باسم الناصحين لك والحبين لك وللعراق. سيسحبوك بعدم تكليفي تشكيل الحكومة لأنهم بذلك انما يدافعون عن انفسهم ولذلك اتوقع ان تعتذر لي صباح السبت لرجوعك عن رغبتك في تكليفي. فقال: لا، لا. لن اتراجع ولن اقبل رايي هذه المرة.

عندما يكي عبدالرحمن

صباح السبت دخلت على عبدالرحمن

عارف فخرج ان يحلق بي. اخبرني انه قرر تشكيل حكومة برئاسته لأن المصلحة تقتضي ذلك. وامضى ما يقارب ستة اسابيع في

صباح السبت دخلت على عبدالرحمن

عارف فخرج ان يحلق بي. اخبرني انه قرر تشكيل حكومة برئاسته لأن المصلحة تقتضي ذلك. وامضى ما يقارب ستة اسابيع في

التشاور مع الناصريين، دون علمي، لأنه يخاف منهم. وذات صباح ارسل ورائي فتوجهت الى القصر الجمهوري وإذ بي أرى موظفي الاذاعة والتلفزيون وبعض الشخصيات من قياديي الناصريين في القاعة الكبرى. دخلت غرفة رئيس الجمهورية فابلغني ان الحكومة ستكون برئاسة وتطلب مني ان اكون نائباً لرئيس الوزراء مع ثلاثة آخرين (لتمثيل السنة والشيعة والاكراذ والناصريين). على مدى ساعتين راح يداورني ويحاورني ولما رأى استنكافي عن المشاركة واستهانتي بهذه التشكيلة الوزارية وانني لا اريد ان انجس ملاييسي ونفسي بالجلوس معهم انخرط في البكاء. قال لي: «اتركني يا عبدالغني لوحدي مع هؤلاء». أجبته: «ولماذا تجلبهم وتجلب الأثية لك وللبلد». قال: «اعطني مهلة وبعدها تتسلم الواجب». انبثا معا صلاة الظهر فيما انتظر الآخرون في القاعة. وهكذا أصبحت نائباً لرئيس الوزراء (...).

بعد فترة شهرين (وكان يتفق من وراء ظهري مع طاهر بحسبي) تخلى عن رئاسة الوزارة وطلب من طاهر بحسبي تشكيلها. (كان الناصريون في العراق موزعين على ست مجموعات من اليسار المتطرف الى اليمين الاسلامي، لكل مجموعة رئيسها، وكل هذه المجموعات خاضعة للرئيس الأعلى وهو طاهر بحسبي وذلك باسم من جمال عبدالناصر حليفه ووزارة بحسبي هي التي أطاحها انقلاب البعثيين العراقيين الذين طردوا عبدالرحمن عارف ونصبوا احمد حسن البكر بدلاً منه.

- لماذا رفض عبدالرحمن عارف تكليفك في النهاية؟

– اعتقد ان السبب واضح. لم يكن جريئاً أو صاحب قرار. كان يشارور ويشاور ويطرخ للضغوط شقيقه عبدالسلام كان شجاعاً لكنه اهتم بابعاد الاقوياء. عندما استدرجني الى قبول منصب وزير الزراعة قال لمقرين منه:

الراوي... رحلة صاخبة في المؤسسة العسكرية العراقية.

الاجهزة الإيرانية وعلاقتها مع الاجهزة الاميركية معروفة تماماً. لم ينسق الاميركيون معي ولم اطلق اي شيء منهم.

لكنك تعاونت مع ايران؟

– شرحت لك الامر. التفت الى الخريطة فلم اعثر على أي دولة يمكن ان تعيننا على اطاحة نظام البعث. وحدها ايران كانت مستعدة. وايران بلد مسلم. انا اعتقد ان الكارثة بدأت حين قاتل المسلم اخاه المسلم. حين قاتل العربي التركي وحين قاتل العربي الإيراني لاحقاً. لو نجحنا في ابعاد النظام البعثي باكراً لوفرتنا على العراق ما عاشه من ماس وكوارث.

● بدا لي من حوارنا انك لجأت الى ما يشبه تصفية الحسابات في حديثك عن تعاونوا على مركز القرار في العراق؟
– ليست تصفية حسابات. اننا نسجل ما حدث. وحين نفعل ذلك يجب ان نتصف بالامانة.

- قسوت على عبدالرحمن عارف!

– قلت ما حصل معي. هل يحق لرئيس جمهورية ان يسارع الى التفكير في الاستسلام للانقلابيين لضمان سلامته الشخصية. كما كاد يحصل اثناء محاولة الناصريين ثم تكرر الامر نفسه معه في ١٩٦٨.

مذكرات MEMOIRS



عناق متأخر بين الراوي والداود.



الراوي... رحلة صاخبة في المؤسسة العسكرية العراقية.

- لم يزعجك القول ان عبدالسلام عارف كان شجاعاً؟

– لا. كان عبدالسلام شجاعاً. وكان هناك من يحاول اجراء مفاصلة بيننا. كان برتبة عقيد ركن وكنت في الرتبة نفسها. طبعاً هو اقدم مني. لكن الاشجع هو من حاول القيام بالثورة اولا وان لم يحالفه الحظ. تاريخي قبل ١٩٥٨ اغني من تاريخه.

- لو تكررت الظروف السابقة هل تتخذ المواقف نفسها؟
– نعم.
- ألا تشعر باي ندم؟
- اشعر انني كنت وفياً لمبادئ.

- كتبت مذكراتك في ١٩٧٩، هل راودتك رغبة في التصحيح او التتقيح او التراجع؟

– لا. كتبتها في ضوء ما عشته. لم اكتب في حياتي. ربما تحاشيت الرد على سؤال احبائنا لكنني لم اكتب.

- لماذا بدوت منزعجاً في بعض مراحل الحوار؟

– قلت ما حصل معي. هل طرحت الاسئلة. احاول ان اقدم لك الصورة كاملة لكنتك تصر على مقاطعتي، وهو ما يشتت ذهني. انك شديد الاهتمام بالتفاصيل في حين ان الالم هو الالتفات الى جذور المسائل.